الدرس (٠٠٣) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فتواصل قراءتنا في هذا الكتاب المبارك كتاب رياض الصالحين لأبي زكريا النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. ولا نزال في باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية.

قال المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٢- (وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»، مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]. هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ).

هذا جيش عظيم يغزو الكعبة بيت الله في آخر الزَّمان، وقد حمى الله عَزَّوَجَلَّ بيته من مكر كُلِّ ظالم يريد هدم بيت الله، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحجُّ:٢٥]، ولهذا لمَّا همَّ أصحاب الفيل على تخريب البيت وعزموا على هدم الكعبة ومَحْوِ أثرها من الوجود، أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل:٤-٥]، أي: دمَّرهم وجعلهم عبرة ونكالًا لكُلِّ مَن أراد به سوء، وخيَّب سعيهم، وأضلَّ عملهم، وَرَدَّهم بشرٍّ خيبة.

---

(١) رواه البخاريُّ (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤).

قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ» أي: أرض واسعة، «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» أي: ساخت بهم الأرض وابتلعتهم في أعماقها وغيَّبتهم في بطنها، «قَالَتْ: قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟» أي: كيف يخسف بالَّذِين جاؤوا من أجل البيع والشِّراء، ولـم يأتوا من أجل غزو الكعبة، وقد يكون شخص في ذلك الوقت مرَّ من ذلك الطَّريق، أو جاء ليبيع ويشتري، ولم يأت لإفساد وقتال.

قال: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» هذا موضع الشَّاهد من الحديث، وقوله: «يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» مثل قوله في الحديث المُتَقَدِّم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، فالعقوبة تعمُّ الصَّالح والفاسد، لكنَّ النَّاس يوم القيامة يُبْعَثون على نيَّاتهم، فأهل الإيمان والطَّاعة والإخلاص والتَّقرُّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُبْعَثون على ذلك، ومَن سواهم أيضًا يُبْعَثون على ما كانوا عليه من نيَّةٍ خبيثة ومقاصد سيِّئة.

٣- (وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فانْفِرُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

وَمَعْنَاهُ: لَا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ).

قوله ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» أي: بعد فتح مكَّة؛ لأنَّ مكَّة بعد فتحها صارت دار إسلام. وفي هذا بشارة للمؤمنين: أنَّ مكَّة لن تعود بلاد كفرٍ، بل ستبقى بلاد إسلام إلى أن تقوم السَّاعة.

وقوله: «وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» أي: أنَّ وجوب الهجرة من مكَّة قد انقطع بفتحها، حيث صارت دار إسلام، ولكن بقي وجوب الجهاد على حاله عند الاحتياج إليه، وفسَّره بقوله: «وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فانْفِرُوا»، أي: إذا طلب منكم وليُّ الأمر النَّفير، وهو الخروج للجهاد في سبيل الله؛ «فانْفِرُوا» أي: فاستجيبوا، وقوموا بـما طلب منكم القيام به، من النَّفير للجهاد في سبيل الله.

---

(٢) رواه البخاريُّ (٢٧٨٣)، ومسلم (١٨٦٤).

والشَّاهد من الحديث: قوله: «**وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**» ففيه الحثُّ على الإخلاص في النِّيَّة، سواء في الجهاد أو في غيره، بأن يكون قصد الإنسان في جهاده، أو في عبادته، أو في صلاته، أو في أيِّ طاعة؛ وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مُتَقرِّبًا بذلك العمل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإلَّا فإنَّه لن ينتفع به.

فمثلًا: الجهاد! مَن جاهد حميَّةً أو شجاعةً أو رياءً أو سمعةً، أو غير ذلك من الأغراض؛ لا يقبل الله منه، ولو أبلى بلاءً عظيمًا في مقاتلة الأعداء، بل لا يقبل الله منه إلَّا إذا خلصت نيَّته، وكان مراده إعلاء دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتَّقرُّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذلك، فعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**» متَّفق عليه[٣].

٤- (وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ؛ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**». وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ**» رواهُ مسلمٌ[٤].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا، إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»)[٥].

هذا كان في غزوة تبوك، فقد تخلَّف عن رسول الله ﷺ النِّساء والذُّرِّيَّة، ومَن عذره الله عز وجل من الرِّجال، ممَّن لا يجد ظهرًا يركبه أو نفقة تكفيه؛ وهؤلاء كلُّهم معذورون؛ نساء، وذرِّيَّة، ورجالًا. النِّساء والذُّرِّيَّة لضعفهم، والرِّجال المعذورون لأنَّهم ليس عندهم نفقةٌ ينفقونها ولا ظهرٌ يركبونه.

---

(٣) رواه البخاريُّ (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

(٤) رواه مسلم (١٩١١).

(٥) رواه البخاريُّ (٢٦٨٤).

ومن هؤلاء البكَّاؤون؛ وكان بكاؤهم لهفًا وشغفًا في المُضِيِّ مع رسول الله ﷺ لكن لا حيلة لهم، ولا يجدون ما يحملهم، وطلبوا من النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يحملهم، فما كان عنده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما يحملهم عليه، فرجعوا يبكون من شدَّة اللَّهف والرَّغبة.

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التَّوبة:٩١-٩٢].

ومن هؤلاء عُلبةُ بنُ زيد، لمَّا رجع وهو يبكي لهفًا وشوقًا، أخذ يناجي ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويقول: «اللَّهُمَّ إنَّك قد أمرت بالجهاد ورغَّبْتَ فيه، ولم تجعل عندي ما أتقوَّى به مع رسول الله ﷺ، ولم تجعل في يد رسول الله ﷺ ما يحملني عليه، وإنِّي أتصدَّق على كُلِّ مسلم بكُلِّ مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض»(٦)، وجاء أنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبره: أنَّ الله قد قبل صدقته هذه.

وهذا يدلُّ على أنَّ باب الدَّرجات العلا، ونيلَ مغفرةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورحمتِه وفضلِه بابٌ واسع، وهؤلاء الَّذِين حبسهم العذر شركاء للَّذِين ذهبوا في الأجر؛ لأنَّهم معهم بنيَّتهم وقصدهم وحرصهم ورغبتهم وتأسُّفهم وتألُّمهم؛ لكونهم لم يتمكَّنوا من أن يخرجوا لقلَّة الظَّهر، ولعدم قدرتهم على ذلك.

ففيه أن العبد يؤجر على ذلك بنيته وقصده ورغبته، وقد جاء في رواية للحديث عند مسلم: «إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ».

قال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لهذا الحديث في صحيح مسلم: «وفي هذا الحديث فضيلة النِّيَّة في الخير، وأنَّ مَن نوى الغزو وغيره من الطَّاعات فعرض له عذر منعه؛ حصل

(٦) ذكره ابن إسحاق كما في «دلائل النُّبوَّة» (٥/ ٢١٨).

له ثواب نيَّته، وأنَّه كُلَّما أكثر من التَّأسُّف على فوات ذلك، وتمنَّى كونه مع الغزاة ونحوهم، كثر ثوابه»[٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لهم مثل أجر الفاعل؛ لِمَا قام في قلبه من حبٍّ وإرادة جازمة لكن البدن عاجز، فيُكتب له مثل أجر الفاعل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذو الفضل العظيم»[٨].

٥- (وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ صَحَابِيُّونَ، قَالَ: كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فقالَ: واللهِ، مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ[٩]).

في هذا الخبر أن يزيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرج دراهم صدقة على الفقراء، وجعلها عند رجل في المسجد، ووكل إليه أن يصرفها في مصارفها، فأعطاها الوكيل لابنه، إذ لم يعلم نيَّته في ذلك، ويحتمل أنَّه أعطاه إيَّاها لكونه مُستحقًّا لها، فبلغ ذلك والده يزيد، فقال : «وَاللهِ، مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ» أي: ما أردت أن أتصدَّق بهذه الدَّراهم عليك، فخاصمه إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**» فجازت لابنه معن؛ لأنَّه قبضها ممَّن له ذلك، وليزيد ثواب صدقته على غير ابنه بما نواه.

وهذا يدلُّ على أنَّ الأعمال بالنِّيَّات، وأنَّ الإنسان إذا نوى الخير حصَّلَه، وإن كان يزيد لم ينو أن يأخذ هذه الدَّراهم ابنُه، لكنَّه أخذها وهو من المُستحقِّين لها، فصارت له ولوالده أجر ما نوى، ففي هذا دلالة على أنَّ الأعمال معتبرة بنيَّاتها، وأنَّ الإنسان يكتب له أجر ما نوى وإن وقع الأمر على خلاف ما نوى.

---

(٧) انظر: شرح النَّوويِّ على صحيح مسلم (١٣/ ٥٧).

(٨) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٢٣).

(٩) رواه البخاريُّ (١٣٥٦).

الشَّاهد من هذا الحديث: قول النَّبِيِّ ﷺ ليزيد: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ**»، ففيه أنَّ الأعمال بالنِّيَّات، فتمضي صدقةً، وله ما نوى، وأيضًا أخبر النَّبِيُّ ﷺ معنًا أنَّ المال الَّذِي أخذه له؛ لأنَّه داخل في عموم الفقراء المأذون للوكيل في الصَّرف إليهم، وكانت صدقة تطوُّع، وأنَّ والده مأجورٌ على نيَّته، وأنَّ له الشَّيء الَّذِي نواه.

٦- (وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكِ بْنِ أُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ القُرشِيِّ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَدُ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بِالجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «**لَا**»، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ فَقَالَ: «**لَا**»، قُلْتُ: فالثُّلُثُ؟ قَالَ: «**الثُّلُثُ والثُّلُثُ كَثِيرٌ** -أَوْ قال: **كَبِيرٌ**- **إِنَّكَ إِنْ تَذَرْ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ؛ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ**» يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ. مُتَّفَقٌ عليه(١٠)).

في هذا الحديث بيان لثمرة النِّيَّة الصَّالحة، واحتساب الأجر عند الله عَزَّوَجَلَّ، فالنَّفقة الَّتِي تكون من العبد كُلَّ يومٍ ينفقها على أهله وأولاده، وسعيه في جلب الرِّزق لهم، كُلُّ ذلك إذا احتسبه عند الله وصلحت نيَّته فيه بينه وبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ أجر عليه.

قال ﷺ: «**وَإِنَّكَ لَنْ تُنفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ**»، فجميع هذه النَّفقات إذا قام بها العبد يبتغي بها وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أجر عليها.

---

(١٠) رواه البخاريُّ (١٢٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).

وفي الحديث بيان لحسن خلق النَّبِيِّ ﷺ مع أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فكان يزور مريضهم، ويتفقَّد أحوالهم، ويدعو لهم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ويرشدهم لما فيه الخير لهم، ويستشيرونه وينصح لهم.

وفيه دلالة على مشروعيَّة عيادة المريض، واستحباب ذلك، لما في ذلك من مؤانسته، وإدخال السُّرور عليه.

وفيه دلالة على استحباب استشارة أهل العلم، وطلب النَّصيحة والتَّوجيه منهم، ولا سِيَّما فيما يُشكل على الإنسان، وما خاب مَن استشار أهل العلم والبصيرة.

وفيه -كما تقدَّم- مكانة الإخلاص العظيمة، ومنزلته العليَّة، وما يترتَّب عليه من عظيم الثَّواب، وجزيل الأجر.

وفيه أهمِّيَّة عناية المرء بمَن يعول من أهلٍ وذُرِّيَّة؛ لأنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال: «**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً** -أي: فقراء- **يتكفَّفُونَ النَّاسَ**» أي: يسألون بأكُفِّهم النَّاس، يطلبون منهم أن يعطوهم.

وهذا يتضمَّن الحثَّ على الكسب؛ لأنَّه قال: «أن تذر ورثتك أغنياء»، ففيه حثٌّ على الكسب وتحصيل المال، حتَّى يترك أولاده أغنياء، لا يكونون عالةً بعده فقراء يحتاجون إلى النَّاس، فيحرص على أن يكسب مالًا، بحيث يُوَفِّر لأولاده وأهله المسكن، ويُوَفِّر لهم الطَّعام والملبس.

فهذا سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ترك مالًا، وأخبر عن نفسه بذلك، قال: «**أَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟**» وهذا فيه حرص الصَّحابة على الصَّدقة والبذل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، «قَالَ: «**لَا**»، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**لَا**»، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**».

فرغَّبه النَّبِيُّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في أن يستبقي أكثر من ثُلُثَي ماله لورثته، وعلَّل ذلك بقوله: «**إِنْ تَذَرْ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**».

وقول النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ» معناه: أن يطول عُمُرك، ولعلَّ المراد بانتفاع أقوام به، ويضرُّ به آخرون، ما حصل عندما فَتَح العراق، فاهتدى به أقوام، وغنم المسلمون مغانم كثيرة، وقُتِل على يديه جمع من الكُفَّار، فخسروا خسرانًا عظيمًا.

وأمَّا سعد بن خولة الَّذِي ذكره النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آخر الحديث بقوله: «لَكِنِ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ» ذكر ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تطييبًا لقلب سعد بن أبي وقَّاص بقبول هجرته، وتتميمها وتكميلها له، وأنَّ حاله لن تكون كحال سعد بن خولة؛ لأنَّ سعد بن خولة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من المهاجرين السَّابقين، وشهد بدرًا رضي الله عنه وأرضاه، لكنَّه تُوُفِّي في مكَّة في حجَّة الوداع.

فقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَكِنِ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ» يتوَجَّع ويتحَزَّن لحاله لكونه مات بـمكَّة، وكانوا يكرهون الإقامة في الأرض الَّتِي هاجروا منها وتركوها، مع حُبِّهم فيها للَّـه عَزَّوَجَلَّ، فقال له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذلك تطييبًا لحاله، وأنَّ حاله لن تكون كحال سعد بن خولة، بل سيشفى من المرض بإذن الله، ويُتِمُّ الله عَزَّوَجَلَّ له هجرته.

نفعنا الله أجمعين بما علمنا وزادنا علما وتوفيقا، إنه سميع قريب مجيب. وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.